الدّكتور: حاكمي لخضر - أستاذ التّعليم العالي

قسم اللُّغة و الأدب العربي

كلية الأدب و اللّغات و الفنون 

جامعة الدكتور الطّاهر مولاي بسعيدة - الجزائر

ص-ب 138 سعيدة 20000

البريد الإلكتروني:

Lakhdarhakmi@yahoo.fr

هاتف نقال:

أو: 0663.84.67.68

**الموضوع: محاضرات خاصّة بمقياس" منهجيّة تحليل الخطاب"**

**تخصّص: لسانيات الخطاب**

**السّنة الأولى ماستر**

**تقديم: الأستاذ الدّكتور حاكــمي**

**تــنـبـيه:**

**لأيّ استفسار حول مقاربة من المقاربات يرجى طرح الأسئلة في المجموعة الفايسبوكيّة الخاصّة بطلبة ماستر و الموسومــة بــ" الأسلوبيّة المقارنة و منهجييّة تحليل الخطاب"**

**و إذا تعــذّر الـفـهم يكون التّواصل على الرّقم المدوّن أعــلاه يوميّا من السّاعة 10:00 إلى السّاعة 12:00... و بالتّوفيق للجميع**

**\*\*\* تجــدون هــنا المحاضرات التالية:**

**03- المقاربة السيميائيّة السّرديّة**

**04- المــــقاربـــة التــــلــفــــــــظـــــــــــــــــــــــــيّة**

**05- المــقــــاربــــة الـــــــــتّــــــــــواصلـــــــــــيّـة**

**06- الـــــمـــــــــقـــاربـــــة الــتّـــــــــداولـــــيّــة**

**المحاضرة رقم.03:**

**الموضوع: المقاربة السيميائيّة السّرديّة بين النظريّة و التّطبيق**

تمهيد:

نسعى في هذه المحاضرة إلى تعريف الطّالب بالأصول اللّسانية و الشّكلانيّة للمقاربة السّيميائيّة، من خلالِ الجمع بين النّظري و التّطبيقي، و ما دامت المحاضرة قدّمت دون لقاء مباشر مع الطّلبة، فإنّ ذلكم اللّقاء العلمي يكون يوميا على شكل استفسار و إجابة في المجموعة العلميّة: **الأسلوبيّة المقارنة و منهجيّة تحليل الخطاب.**

لا بدّ من التّذكير بفضل اللّسانيات في التّأسيس للنّظريّة السّيميائيّة، كما كان للنظريّة الشّكلانيّة عميق الأثر في تجسيد الأدوات الإجرائيّة للسيميائيّة السّرديّة من خلال مورفولوجيّة الحكاية الشّعبيّة الرّوسيّة **La Morphologie du conte للباحث الرّوسي فلاديمير بروب الذي أتى بمفهوم الخطاطة السّرديّة.**

**1- الأصول اللّسانيّة للنظريّة السّيميائيّة:**

يعدّ كتاب" علم الدّلالة البنيوي -1966-" "sémantique structurale" لغريماس أوّل بحثٍ في السّيميائيّة اللّسانية. و مهما قيل عن المعنى فإنّ الدّراسات الصّوتيّة" مدرسة براغ" و الدّراسات النّحويّة:" كوبنهاجن" قد تقدّمت تقدّما ملحوظا و مرئيًّا، طالما أنّ المعنى شيء مجرّد و لا يمكن للدّراسة العلميّة أن تقبض عليه على حد قول بلومفيلد. فالمعنى غير قابل للملاحظة و التّجربة كما الشّأن بالنّسبة للعلوم التّجريبيّة. و لذلك بات الحديثُ عن المعنى أقرب إلى الفلسفة منه إلى اللّسانيات.

**1-2 مبدأ المحايثة:L'immanence**

و هو الذي تخضع فيه الدّلالة إلى **" قوانين داخليّة خاصّة مستقلّة عن المعطيات الخارجيّة"** و لعلّ هذا المبدأ سابق على التّحليل السّيميائي، فقد أتى به فرديناند سوسير في كتابه" دروس في الّسانيات العامّة" حين حديثه عن استقلاليّة اللّسانيات في موضوعها و منهجها.

و قد تبنّى هيالمسيف مبدأ المحايثة مؤكّدا استبعاد الوقائع غير اللّسانيّة من عمليّة الوصف، و النّظر إلى موضوع اللّسانيات باعتباره شكلا...و إنطلاقا من كلّ هذا عمد غريماس إلى صياغة مبدأ المحايثة في البحوث السّيميائيّة وفق منظورين: يبنى المنظر الأوّل على مقولة التّصديق (véridiction) المتمفصلة إلى محوري: المحايثة " الكينونة" و التجلّي" الظّاهر"، و منه تتفرّع إلى أربع مقولات تظهر في المربّع التّصديقي على النّحو الاتي:

 **الصّدق**

 **الكينونة الظّاهر**

 **السر الكذب**

 **لا ظاهر البطلان لا كينونة**

**1-3 مبدأ الاختلاف: La déférence**

يتمثّل في كون المفاهيم المتباينة تكون معـرَّفَـة بشكل سلبي من علاقاتها مع العناصر الأخرى للنّظام. و هذا المبدأ أرسى دعائمة فرديناندو سوسير، و قد تـَمَثَّلَ هذا المبدأ غريماس قصد الإقتراب من المسألة الدّلاليّة عن طريق الاختلافات المنتِجة للمعنى بشرط حضور عنصرين على الأقل تربطهما علاقة ما.

هذا التّمثيل الذي اعتمده غريماس مستوحى من نظريّة هيالمسليف التي بمقتضاها يمكن فحص ماهية المضمون بالأدوات المنهجيّة المطبّقة على صعيد التّعبير.

إنّ السِّيمَ Le sème هو وحدة دلاليّة قاعديّة لا يحقّق وجوده إلا في علاقته بعنصر آخر، و لذلك فإنّ وظيفته خلافيّة و تدرك بطبيعة الحال داخل البنية؛ فمثلا: الليكسيمينlexème " ولــد، و بنت"، و تتجلّى تتجلّى منهما وظيفة السّيم من خلال: ذكورة (س1) و الأنوثة'س2) و محور الجنس (س).

و هذه السّيمات تنضوي تحت لواء نظام تحكمه علاقات التّقابل ( بين س1 و س2)

فــ س1، س2 كلاهما س

ندرك مفهوم السيم هنا من خلال اللّيكسيمات المثبتة في الجدول الآتي:

 /ذكر/ عكس / أنثى/

 رجل امرأة طفل إنسان

 ثور بقرة عجل إحساس

 ديك دجاجة فرخ دجاجة حيوان

 كبش نعجة خروف

 كبير صغير

يمكننا أيضا الإقرار بوجود مقابلة بين: / إنسان/ و / حيوان/ لأنّهما يملـكـان محورا دلالــيّا مشتــركا ( حسّاس)

حسّاس

 إنسان حيوان

لقد أشار ابن رشد في كتابه" تلخيص كتاب المقولات" حينما تحدّث عن المتقابلات من أنّ" كلّ متضادّين، فإمّا أن يكونا من جنسٍ واحد بعينه مثل الأبيض و الأسود اللذين جنسهما القريب اللّون"

اللّون

 س1: أبيض س2: أسود

و من هنا نلحظ أنّ كلّ جنس أو كلّ مقولة سيميّة ( س1، س2) " **catégorie sémique**" يمكن أن ينتج لنا مقولات سيميّة جديدة ( س3، س4):

 س1 س2

 س

 =

 س3 س4

 ....... إلــخ

 س

إنطلاقــا من الجدول المتقدّم نحصل على التّفريعات السّيميّة التّالية:

/رجل/ /امرأة/

 / إنساني/ / حيواني/

 حسّاس غير حسّاس

 ................

إذا أمعنّا النّظر جيّدا في هذه المقولات السّيميّة المبنيّة على الوظيفة التّقابليّة و الخلافيّة للسّيم ندرك أنّها تستمدّ وجودها من الوصف البنائي (description structurelle) الذي يهدف إلى تأطير عنصري العلاقة من جهة و المضمون من جهة أخرى:

A/ et en relation(s) avec/b

 \* ع: عكس

 فتاة ع(جنس) صبي

 فتاة(أنوثة) ع صبي(ذكورة)

 أنوثة /عكس/ ذكورة

 س1 عكس س2

لإدراك المظهر الاتّصالي بين س1، س2 ينبغي أن نرقى إلى صعيد أعلى من النّاحيّة التدرّجيّة، يعني الصّعيد المطوّق للمقولة السّيميّة المحتوية على الذّكورة و الأنوثة، و نحصل في الأخير على الجنس المعتبر كمقولة سيميّة تتمفصل إلى سيمين متقابلين يحدّدان البنية المعنويّة الصّغرى، و عليه تتأتّى أنظمة من العلاقات:

- علاقات التّقابل: س1 عكس س2، إنّها علاقة قائمة بين السّيمين

- علاقة التــــدرّج: س1ـــــــــــــــــــــ س

 س2 ـــــــــــــــــــ س فكلاهما: سيم" جنس واحد"

إذن علاقة التدرّج تقوم بين س1، و س2 (الجنس: إنسان) باعتباره مقولة سيميّة تمفصل: س1، و س2

يمكن آنئذ أن نمثّل نظام العلاقات ( التّقابل و التدرّج) في مربّعٍ سيميائي يعكس الدّورة الدّلاليّة العادية المتموضعة في المستوى العميق، سنقيّد في البداية التّنظيم العام للمربّع، و نهتدي إلى خصائصه الشّكليّة على نحو ما قدّمة غريماس في كتابه" علم الدّلالة البنيوي"

**1-4 المربّع السّيميائي:**

لا شكّ أنّ الدّورة الدّلاليّة المتموضعة- كما أسلفنا- في المستوى العميق هي في الحقيقة ترجمة لعالم دالّ، نرمز له بــ "د"، و سيكون في المقابل" دَ" متّسمًا بغيابٍ مطلقٍ للمعنى، و نقيضًا لــ"د"، و إذا كان المحور الدّلالي"د" يتفـرّع على مستوى شكل المضمون إلى سيمين متضادّين ( contraire):

د1.........................د2 فإنّ كلّ واحد من هذين السّيمين يحيل على نقيضه (contradictoire):

دَ1........................دَ2

و بناء على هذه الاستنتاجات ، يمكن أن نضوغ المربّع السّيميائي في الشّكل التّالي:

 **د1.......د........ د2**

 **عــلاقات التّضاد**

 **علاقات التّناقض**

 **علاقات التّضمن**

 **دَ1...... دَ...... دَ2**

**الخصائص الشّكليّة للمربّع السّيميائي:**

ينشئُ المربّعُ السِّيميائي علاقاتٍ متنوّعة، تتوزّعُ على النّحو الآتي:

**1- العلاقات التدرجيّة:** تقوم العلاقة الأوللاى بين: د1، و د2 و د. وو تشمل الثّانية:

**2- العلاقات المقولاتيّة:**

**علاقات التناقض:** تقوم العلاقة الأولى بين د، و دَ..و على المستوى الأدنى من النّاحيّة التدرجيّة تقوم علاقة ثانية بين د1، و دَ1، و بين د2 و دَ2.

و من الواضح أنّ عمليّة النّفي (opération de négation ) هي التي تحقّق الانتقال من د1 إلى دَ1، و من د2 إلى دَ2 ، و تنبني أساسًا على الاختيار بين واحد من العنصرين:

**علاقات التضمّن:** تربط دَ بـ د2 و دَ2 بــ د1، و تتولّـد بشكل طبيعي من عملية النّفي السّابقة. يتضمّن نفي دَ1 تثبيت د2

بناء على هذه المعطيات النظريّة تتجسّد على سبيل المثال الدّورةُ الدّلاليّة للمحلّل و المحرّم في شهر رمضان على النّحو التّالي:

**محلل محرّم**

عمل أكل

 تفكير شرب

 تحرّك تدخين

 **لا محرّم لا محلّل**

الشّرب سهوا النّوم كلّ النّهار

 الأكل سهوا التوقّف عن العمل

**\*\* لمزيد من الفائدة العلميّة، إليكم المراجع التّالية :**

**- السيميائيّة، الأصول، القواعد، المنهج لـ: جون كلود كوكي و آخرون، ترجمة: رشيد بن مالك**

**- مقدّمة في السّيميائيّة السّرديّة للدّكتور رشيد بن مالك**

**- معجم السّيميائيّات لفيصل الأحمر**

**- مجلّة سيميائيّات، مجلّة دوريّة محكّمة تصدر عن مختبر السّيميائيّات و تحليل الخطاب، جامعة وهران- الجزائر**

**- السّيميائيّات و التّأويل، للدّكتور سعيد بن كراد**

**- مجلّة علامات، مجلّة ثقافية محكّمة تصدر في المغرب**

**المحاضرة رقم 04:**

 **المقاربة التـلفّــظـيّة:**

**مصطلح الملفوظ/ التلفّظ:**

المقاربة التلفّظيّة هي تلكم المقاربة التي تربط العناصر اللغّويّة بعوامل خارجيّة، أو قل: دراسة شروط إنتاج الخطاب، و فهم آليات توظيف اللّغة. و يجمع الكثيرون على أنّ بنفنيست Benveniste هو مؤسّس هذه المقاربة التي سمّيت بنظريّة التلفّظ منذ 1966م، فأصبحنا نسمع الاصطلاحات التالية:اللّسانيات التلفّظيّة، و " لسانيات التلفّظ" و " لسانيات الملفوظ" و " بنية الملفوظ" و " معنى الملفوظ" ....عوض الجملة مع أوزوالد ديكرو o. ducrot و أنسكومبر و موشلار و ريبول و الأخيران فرّقا بين: الجملة مقابل الملفوظ **phrase v énoncé**/ الدّلالة مقابل المعنى **la signification v sens** . و لو أنّ "ديكرو" هو من وطّأ الطّريق قبلهما لهذه المسألة، و على أساس نتائجه البحثيّة بنيا منطلقاتهما. و ممّا تعرّج عليه هذه المقاربة هو عنصر الذّاتيّة في الخطاب باعتباره وضعيّة تتشكّل فيما أسماه بنفنيست بالجهاز الشّكلاني للتلفّظ، فتهتم هذه المقاربة بدراسة: المبهمات(ضمائر الشّخص، الظّروف الزّمانيّة، و الظّروف المكانيّة). و تلكم وحداتٌ لغويّة تسمح للمتكلّم بالارتباط بالواقع.

من الذين ساهموا في تطوير هذه النظريّة كاترين أوركشيوني Orecchioniالتي قامت بإحصاء كلّ الوحدات اللّغويّة التي يمكن أن يندرجَ فيها عنصر الذّاتيّة، و قامت أيضا بدراسة عنصر التّضمين في اللّغة على اختلافِ مظاهره. كما نجد كيليولي Culioli الذي عمل على بناء نموذج شكلاني و صوري للتلفّظ انطلاقا من إجراءات المنطق الرياضي، و ذلك بتحديده للعمليّات الصّوريّة للخطاب. و يضاف إلى هؤولاء" ديكرو o. ducrot " بتطويره لنظريّة قوانين الخطاب، إذ الملفوظ عنده هو الجملة زيد إليها المقام أو" مقتضى الحال" كما يقول البلاغيّون العرب، و أو قل: الجملة في مقام الاستعمال، و بعدها كان له الفضل في التّأسيس لنظريّة الحجاج في اللّغة.

فمن سنة 1980م إلى سنة 1984م طوّر " ديكرو o. ducrot " مفهوم الملفوظ عبر إيجاد خصائصه، و هي: (الاستقلاليّة، التّرابط و الانسجام، التّنامي و الحريّة)، و حينها كان مهتمّا إلى حدٍّ بعيد بنظريّة تعدّد الأصوات polyhonie التي طوّرها عن باختين، و لكن من وجهة نظر لسانية لأنذ مقاربة باختين ذات طابع أسلوبي أدبي لصيق بعلم النّقد, فبعد أن كان الملفوظ حدثًا تلفّظيًّا Acte de l'énonciation أصبح قطعة من الخطاب segment de discours (ريبول و موشلار، 333)

و من هذه الاعتبارات انقلب الجهاز المفاهيمي الاصطلاحي لدى " ديكرو" و خاصّة في الوحدات( الجملة، الملفوظ، المعنى، و الدّلالة)، و هذه تعدّ المقولات الكبرى لمصطلحاتٍ فرعيّة مستنبطة منها، حوّرها ديكرو فيما بعد حسب تصوّره التّداولي...فإذا كانت الجملة مثلا من اهتمامات اللّسانيّين فإنّ الملفوظ من اهتمامات التّداوليّين ( ريبول و موشلار)

و عموما فإنّ المقاربة التلفظيّة تتعامل مع النّص على أنّه ملفوظ أو تلفّظ كلامي و سياقي، و اهتمّت اهتماما كبيرا بعناصر التّواصل، و زمنيّة التلفّظ باعتبارها نموذجًا سياقيًّا يستوجب مؤشّرات كان لها الأثــر في تثبيت المعنى. كما أنّ تلك المقاربة نقّبت عن مشكلات التلفّظ، و الأسلوب غير المباشر، ممّا يبرز بوضوح اهتمامها الكبير بالكلام في مقابل اللّغة، و ربطه بعوامل انبثاقه "السياق الاجتماعي".

و ممّا تنبغي الإشارةُ إليه هي نظرة" ميخائيل باختين" التّفاعليّة في اللّغة، أو قل: الحواريّة، إذ هو لا يفرّق بين الملفوظ و التلفّظ، فالملفوظ دليل التلفّظ، و التلفّظ دليلُ، فكلّ صورة تحمل معنى، و هذا الأخير محصّلة إنتاج اجتماعي.. فلا وجود لنسق مجرّد أو تعبير فردي.

لقد اهتمّت لسانيات التلفّظ اهتماما بالغًا بالذّاتِ المتكلّمة التي أزاحتها اللّسانيات البنيوية" باختين"، و اقترنت بإشاراتِ التلفّظ و علاماته " بنفنست"، و السياق المرجعي الاجتماعي" باختين"، و مفهوم التّواصل" جاكبسون"، و التّقويم الذّاتي و الموضوعي" أركشيوني و جاكبسون"، و البوليفونيّة التلفظيّة" ديكرو- أوتي"، و التلفّظ المشترك " كوليولي، هابرماس، بالو ألتو"، و الجماعة التلفظيّة" جاك فرنسيس"، و الاندماج و اللاإندماج" دومنيك مانغونو"، و العمليّات التلفظيّة" كوليولي".

و إذا كانت المقاربات البنيويّة و التّوليديّة تتجاهل مسألة الذّات، فإنّ الملمح التلفّظي يجعلها في قلب اللّسانيات. إنّ التلفّظَ هو الموضعُ الحقُّ للكلام الذي يعرفُ باعتباره فعلا شفهيّا، فالمادّة الحقيقيّة للّغة تتكوّن من التّفاعل الشّفهي المحقّق عبر التلفّظ. و هنا يمكن الإشارة إلى أنّ بنفنيست لم يدرس التلفّظ في إطاره الخطابي،بل كان يقف عند حدود الجملة فمقاربته إذا مقاربة نحويّة دلاليّة. بيد أنّ دراسة الخطاب لم تتحقّق إلى في سبعينيّات القرن الماضي مع لسانيات النّص بتجاوز الملفوظ نحو النصّ/ الخطاب...

**لمزيد من الفائدة العلميّة، يراجع الطالب:**

**جميل حمداوي، لسانيات النص و تحليل الخطاب ف الثقافتين العربيّة و الغربيّة**

**حمو الحاج ذهبية، لسانيات النلفّظ و تداولية الخطاب**

**المحاضرة رقم 05:**

 **المقاربة التّواصليّة**

مفهوم التّواصل:

1- في اللّغة: التّواصل و الاتّصال كلاهما من مادّة"وصل، يصل، وصلا، و صلة الشّيء بالشّيء، و اتّصل بالشيء: التأم به. و اتّصل بي خب فلان: أي علمتهز و اتّصل فلان بالوزير: أي صار في خدمته...

2- في الاصطلاح: نعني بالتّواصل جعل الشّيء مشتركا...

و هو ينتقل بالشّخص من العالم الفردي إلى العالم الاجتماعي، لأنّه شراكة مع الآخرين في تبادل الرّسائل عن طريق الرّموز و الإشارات....و غيرها

3- شروط التّواصل:

- المصفاة الفيزيائيّة: تتعلّق بالظّروف الماديّة، كالنّطق، و الحركة، و الاستماع، و المشاهدة.

- المصفاة الثّقافيّة: المرتطبة بالعادات و التقاليد و القيم الروحيّة التي تكون كقناعات تساهم إمّا في الفهم الجيّد أو الخاطئ للرّسالة.

- المصفاة الذّهنيــّة: تتعلّق بالقدرة الفكريّة على إنتاج و استيعاب بعض الرّسائل من خلال المستوى الثّقافي، و التّجربة اليوميّة.

- المصفاة النّفسيّة: تتجلّى في التّعاطف مع محتوى الرّسالة، أو مع مرسلها أو مستقبلها...

4- مفهوم نظريّة التّواصل:

هي مجوع الأنساق الواصفة لسيرورة التّبليغ و التلقّي عبر قناة بين جهاز و آخر. أو قل: بين الكائن الإنساني و غيره، و هي تمثيلٌ يصف أو يفسّر عمليّات التّواصل و وضعياته انطلاقا من نظريّة أو حقل دراسي معيّن، فالمهندس يبني تصوّراته حول الظّاهرة التّواصليّة من خلال اهتمامه بالجانب الكمّي في نقل المعلومات، و القناة المستعملة في هذا النّقل، بينما يقوم بذلك عالم النّفس و الاجتماع من خلال الاشتغال على الآثار المتبادلة بين المرسل و المستقبل، و بالعلاقة مع المحيط ...

5- نماذج نظريّات التّواصل:

أ- نموذج هارولــد لاسفيل:Lasswell 1948

يعدّ هارولد لاسفيل من أوائل المختصّين بالعلوم السياسيّة الذين اهتمّوا بالتّواصل الجماهيري، لاسفيل أنّ التواصللم يعد يعني التحكّم في الرّسالة بل أصبح يعني أيضا التحكّم في الإرسال، و لتبليغ الرّسالة بشكل جيّد يقترح هارولــد لازفيلد طرح الأسئلة التّالية: من يقول ماذا؟ يقول؟ بأيّة قناة؟ لمن؟ بأيّة آثار؟

فالسّؤال الأوّل يهتمّ بالمرسل و فحوى الرسالة، و السّؤال الثّاني يتعلّق بالقناة التي يتمّ عبرها تبادل الرّسائل، و الثّالث متعلّق بحال المتلقِّي، و السّؤال يتعلّق بالأبعا المترتّبة على التّواصل.

ب- نموذج شانون و ويفــر 1949م:

يعدّ شانون و ويفر مهندسان و يعتقدان أنّ التّواصل هو عمليّة نقل و تحويل(Transfert) رسالة من مصدر منتج لها إلى متلقٍّ على شكل إشارة وفق هذا التّمثيل:

d

r

s.i

tr

 m sgr sg m

فهناك مصدر للمعلومة: s.i ينتج الرّسالة m كي تنقل إلى متلق ما r و النّاقل tr هو الذي يعالج الرّسالة من أجل إنتاج إشارة sg قابة للنّقل بواسطة قناة ما، و يقوم المتلقِّي بتفكيك الإشــارة sgr من جل إعادة الرّسالة التي تصل أخيرا إلى وجهتها d.

ما يميّز خططة شانون و ويفر عن خطاطة سوسير و بلومفيلد ه مفهوم الضّجيج bruit لأنّ شانون و ويفر يركّزان في نموذجهما على كلّ ما يتدخّل في نقل الرّسالة و يشوّش على إعادة الإنتاج الدّقيق و تلقِّي ما نقل ما نقل عن المصدر، أي الضّجيج الذي يشوّش على المتلقِّي و يؤثّرُ على وضوح الرّسالة التي يتمّ تلقّيها.

فكلمة" ضجيج" تعني أنّ النّقل يتمّ عن طريق موجات صوتيّة أي: قناة أكوستيكيّة

ج- نموذج رومان جاكوبسون 1964م:

يعتبر جاكوبسون واحداً من ثلاثة علماء روس الذين أظهروا المعنى المحدَّد لكلمة: (بنية). وذلك في عام 1928م، حينما قدّم مع هؤلاء بحثاً إلى المؤتمر الدّولي لعلوم اللّسان المنعقد في مدينة لاهاي بهولندة، تضمّن الأصول الأولى للمنهج البنيوي، وخرجوا بنتيجة مؤدّاها: أنّ المنهج البنيوي هو الصّالح لكشف قوانين بنية النّظم اللغويّة وتطوّرها، وذلك في البيان الذي أصدره المؤتمر الأوّل للّغويّين السلاف المنعقد بمدينة براغ عام 1929م. ولذلك- وغير بعيد عن مجال اللّغة- فقد أكّد جاكوبسون على أهميّة التّواصل عند الإنسان ، وقارنه بالتّواصل عند الحيوان فرأى أنّ:

اللّغة خزّان هائلٌ للتخيُّل والإبداع، على عكس التّواصل الحيواني.

قدرة اللّغة على تجاوز الإطار الزّمكاني، من خلال استطالة الخيال، على عكس العلامات التي ترسلها الحيوانات، كونها محصورة في آنٍ ومكانٍ محدّدين.

العناصر المكوّنة للّغة خاضعة لتنظيم رتبوي بنيوي( الوحدات الصّوتية، والوحدات الدّالّة)

1. استخدام أدوات ووسائل الرّبط، وبخاصّة في القضايا.
2. ترابط الوظائف والعمليات المختلفة و رتبويّتها القابلة للإعادة عكساً.

ومن هنا أنتج جاكوبسون نظريّة هامّة في وظائف اللّغة، ورأى أنّ كلّ عمليّة لغويّة تقوم على أطراف هي: الباث أو المرسِل، والمتقبّل أو المرسَل إليه، والرّسالة أو الخطاب، وعمليّة البث وهي عمليّة تركيب لرموز، أمّا عمليّة التلقّي فهي تفكيك لهذه الرّموز. وقد صنّف هذه الوظائف في ستّ هي:

* 1. الوظيفة الانفعاليّة أو الانطباعيّة التأثّريّة Emotive و تسمّى الوظيفة التّعبيريّة La fonction expressive: وتتعلّق بالمتكلّم أو المرسل أو الباث الذي يعمل على بثّ رسالته وهذا البث يحمل بطبيعة الحال بعضاً من سمات وانفعالات المرسِل. كما أنّها" تهدِفُ إِلَى أنْ تُعَبِّرَ بِصِفَةٍ مباشرة عن موقف المتكلِّم تجاهَ ما يتحدَّثُ عنه، و هِيَ تنزعُ إِلَى تقْدِيمِ انْطِبَاعٍ عن انفِعَالٍ مُعَيَّن صَادِقٍ أوْ كَاذِب"- رومان جاكوبسون: قضايا الشعريّة، ص 29.

و الوظِيفة الانفعاليّة التّعبيريّة بتركِيزها على المرسِل فإِنّها " تنزعُ إِلَى التّعبيرِ عن عواطِفِ المرسِل و مواقفهِ إِزاءَ الموضوعِ الذِي يُعَبِّرُ عنه، و يتجلّى ذلك فِي طريقة النُّطق مثلاً، أو فِي أدوات تعبيريّة تفيدُ الانفعالَ كالتأوُّه، أو التعجّب، أو دعوات الثّلب، أو صيحات الاستنفار..."- رومان جاكوبسون: المرجع نفسه، ص 28.

و تهيمن الوظيفة الانفعاليّة عندما يأخذ الكاتب أو النّاظم المكانة المركزيّة فِي النصِّ، و تعبيره عن أفكارِهِ و مشاعِرِهِ الخاصّة، و تتجلّى هذه الوظيفة مثلاً فِي أدبِ السِّيرة الذَّاتيةAutobiographie، أو الشّعر الغزلِي. كما أنّها تتمظهر عبر أدوات تركيبيّة خاصّة يتصدّرها: التعجّب، L'interjection، و ضمير المتكلِّم:أنا(Je) حسب ما ذهب إليه دانيال دولاسDaniel Delas، و جاك فيليولِيJacques Filiolet.

* 1. الوظيفة الافهاميّة أو النّدائيّةCognitive La fonction: و يطلق عليها بعض اللّسانيّين مصطلح" وظيفة تأثيرية La fonction impressive وتتعلّق بالمرسَل إليه أو المخاطَب وموقفه النّفسي والخلقي، وتعود إلى موضوع الكلام. و تبرز هذه الوظيفة على سطح الخطاب عندما تتّجه الرّسالة إلى المرسل إليه، و تجد تعبيرها" الأكثر خلوصًا فِي النِّداء و الأمر اللذين ينحرفان، من وجهة نظر تركيبيّة و صرفيّة و حتّى فونولوجيّة في الغالب، عن المقولات الاسميّة و الفعليّة الأخرى، و تختلف جمل الأمر عن الجمل الخبريّة فِي نقطة أساسيّة: فالجمل الخبريّة يمكنها أن تخضع لاختبار الصِّدق، و لا يمكن لجُمَلِ الأمر أن تخضَعَ لذلك".

نجد هذه الوظيفة تهيمن و تفرضُ كثافَةَ حضُورِهَا " خاصّةً فِي الأدبِ الملتزم، و الرِّواياتِ العاطفيّة" لأنَّ هذين اللّونين الأدبِيَّيْنِ يعتمدانِ على مخاطبة الآخر، و محاولة التّأثِير عليه و إقناعِهِ، أو إِثَارَتِهِ. و تركِّزُ فكرة التَّأثِير على معادلة ذات طرفين متعاكسين، هما: المفاجأة و التشبّع. و الإقناع و الإمتاع و الإِثَارة، فالإِقناعُ من أساليب التَّأثِير على المتقبّل باستعمال و توظيف الحجج المنطقيّة فيُحَمِّلُ الباثُّ خِطابَهُ اللّفظِي المنجَز" شحنةً منطقيّة يحاورُ بِهَا المخَاطِبُ مُخَاطَبَهُ على التّسلِيمِ الوضعِي بمدلول رسالته". و تظهر هيمنة التّأثِيرِ الإِقْنَاعِي بِصِفَةٍ واضِحَةٍ فِي الخِطَابِ الحِجَاجِي الذِي يعتمِدُ علَى موضُوعِ النصِّ لا علَى النصِّ، حيث يستعمل وسائِلَ الإقناع التِي" لا تكتسِي صبغَةَ الإكراه، و لا تُدْرَجُ على منهجِ القَمْعِ، و إِنَّمَا تَتَّبِعُ فِي تحْصِيلِ غَرَضِهَا سُبُلاً اسْتِدْلاَلِيَّة تَجُرُّ الغَيْرَ جَرًّا إِلَى الإِقْنَاع".

أمّا الإمتاع فيختلِفُ هَدَفُ الرِّسالَةِ فِيهِ جِذْرِيًّا عنِ الرِّسَالَةِ الاقْنَاعِيَّة، باعتِبَارِ أَنَّ هَدَفَ الأولى يرمِي إِلَى جَرِّ المتلقِّي نحوَ مقَاصِدِ المنتج للنصِّ الخَطَابِي، بينما تهْدِفُ الرِّسَالَةُ الامْتَاعِيَّة إِلَى إِدْخَالِ النَّشْوَة فِي نفْسِ المتقبِّل، حيثُ يتحوَّلُ الكلاَمُ" إِلَى قَنَاةٍ تعبرهُ المواصَفَات التعاطفِيّة، فينطفِئُ عِنْدَئِذٍ الجدولُ المنطِقِي العقْلاَنِي فِي الخِطَابِ، و تحلُّ مَحَلَّهُ نفَثَاتُ الارْتِيَاحِ الوجدانِي"

أمَّا الإِثَارَةُ: و هِي حسب الدّكتور عبد السّلام المسدِّي تتولَّدُ من خِطابٍ ما عندما يتحوَّلُ إِلَى " عامِلِ اسْتِفْزَازٍ يُحَرِّكُ فِي المتقبِّل نوازِعَ ردودِ فعل". و من غير الممكن أن تجتمِعَ أو نفترِضَ اجتِمَاعَ كُلِّ هذِهِ العناصِرِ الأسلوبيّة التِي يُوظِّفُهَا المرسِل فِي خِطَابِهِ للتَّأثِيرِ فِي قَناعاتِ أو أحاسيس المتقبّل و حتّى سلوكه، و إنّما تعمل كل خاصية أسلوبيّة بصفة مهيمنة حسب نوع الخطاب المرسل، فما يستعمله الخطابُ السِّياسِي غير ما يستعمله الخطاب الحجاجِي الكلامِي، و ما يستعمله الخطابُ الشِّعرِي غير ما يستعمله الخطاب العلمِي...

* 1. الوظيفة الشّعريّة أو الإنشائية أو الخطابيّة La fonction Poétique : وتتعلّق بالرّسالة. وتشير إلى قيمتها في ذاتها، والاستقلال الفنّي للّغة فيها. والكلام يصبح أدبيّاً حين تكون الرّسالة فيه وسيلة وغاية في آنٍ واحد.و نلمح ماهِيةَ الشِّعرِية كمصطلح فِي تعرِيف رومان جاكوبسون حِينما قال بأنّها:" الدِّراسة اللِّسانِيّة للوظِيفة الشِّعرِيّة فِي سياق الرّسائِل اللّفظِيّة عموماً و فِي الشِّعْرِ على وجْهِ الخصوص". بينما يلغِي جون كوهن Jean Cohen من معادلة ماهية الشعريَّات العناصر الأخرى عدا الشّعر، و بالتّالِي يقصِي كلّ العناصِرِ الثّانويّة التي تتلوّن بالوظِيفة الشِّعرِيّة، فيقصر بذلك مجال الشّعريّات على فنِّ الشِّعْرِ وحْدِهِ فيعرِّفُهَا باعتبارِهَا" العلم الذِي يكون موضوعه الشِّعْر".

 لكنّ هذا الإسقاط يرفضه جاكوبسون انطلاقًا من أنّ كلّ رسالة تكون محمّلةً بالوظيفة الشّعريّة، و إِنْ لم تكن هِي المهيمنة" فهِي يمكن أن توجدَ فِي أيِّ شكْلٍ من أشكالِ التّعبِيرِ اللّفظِي الأخرى، كما توجد فِي الفنون الأخرى مثل الرّسم و الموسيقى و السِّينما...الخ، و لكن بوسائل أخرى".

مخطّط يبيّن التّواصل العادي[[1]](#footnote-1): محور الاستبدال

 محور التّركيب

ثمّ إنّ الدّال في اللّغة الطّبيعيّة يُعطى دلالة جديدة في لغة الشّعر، و لهذا أمكن جعلُ لغة الشعر لغة خاصّة ما دامت تحكي واقعا خياليا فنيّا. و من ههنا يأتي توزيع السّلسلة الكلاميّة بين شكل التّواصل العادي، و التّواصل الفنِّي متباعدا بشكل متوازٍ لا يكاد يقترب من لغة التّخاطب العادية. و الشّكل التّالي يوضّح ذلك:

مخطّط يبيّن التّواصل الشّعري:

 محور التّركيب

 محور الاستبدال

* 1. الوظيفة الانتباهيّة أو الاتّصاليّة La foction Phatique : وتتعلّق بالقناة التي تمرّ بها الرسالة. وتعني أنّ ما يبذله المتكلّم من جهود، وما يستخدمه من وسائل لإبلاغ الرّسالة، كالكلام الذي لا يحمل طاقة إخباريّة ولا يضيف شيئاً جديداً للّرسالة، وإنّما كلّ غايته التحقّق من استمرار عمليّة التواصل.

و هذا ما ذَهَبَ إِلَيْهِ جاكوبسون عندما أقرَّ بِأَنَّ "هناك رسائِل تظَّف، فِي الجوهر، لإِقامَةِ التَّواصُلِ و تمدِيدِهِ أو فصمِهِ، و توظَّف للتأكُّد مِمَّا إِذَا كانت دورةُ الكَلاَمِ تشتغل" ألو! هل تسمعني؟ و تُوَظَّف لإِثارَةِ انتباهِ المخاطَب أو التأكُّد من أَنَّ انتباهَهُ لمْ يَرْتَخِ" قُلْ، أتسْمَعُنِي؟"

* 1. الوظيفة المرجعيّة أو الدلالية أوالإحاليّةRéférentielle La fonction: وتتعلّق بسياق الرّسالة اللّغويّة، وهي تحدّد العلاقات بين الرّسالة والموضوع الذي تدلّ عليه.

و تتلوَُّنُ كُلُّ رِسَالَةٍ بهذِهِ الوظِيفة عندما يكون محتواها مؤيِّداً للأخبار الوارِدَة فِيها" باعتبارِ أنَّ اللّغةَ فِيهَا تُحِيلُنَا عَلَى أشياءَ و موجودات نتحدَّثُ عنها، و تقومُ اللّغةُ فِيهَا بوظِيفَةِ الرّمز إلى تلك الموجودات و الأحداث المبلَّغَة".

* 1. الوظيفة فوق اللّغويّة أو ما وراء اللّغة أو المعجميّة: La fonction Métalinguistique : وتتعلّق بالنّمطيّة، وتعود إلى العلاقات اللّغويّة نفسِها، وإلى قابليّة النّص للصّياغة الصّوريّة، أو قابليّته ليصبِح مدوّنة، وتبدو هذه الوظيفة حين تتحدّث اللّغة عن نفسها كما في النّقد الأدبي. فالنصّ الأدبي لغة، والنّقد كلاماً عن اللّغة، وهو ما وراء اللّغة.

و تستخدم مثل هذه الرّسائِل عندما يشعر المتخاطِبَانِ أنّهما بحاجة إِلَى التأكُّد من الاستعمال الصّحِيحِ للسّنَنِ الذِي يُوظِّفَانِ رموزَهُ فِي العمليّة التّخاطبيّة، فيكون الخطابُ" مركِّزاً على السّنن، لأنّه يشغل وظيفة ميتالسانيّة( أو وظيفة شرح) يتساءل المستمع: إِنّنِي لا أفهمك، ما الذِي تريدُ قولَهُ؟". و يقدِّمُ روما جاكوبسون نموذجًا مأخوذاً من اللّغةِ الفرنسيّة مفسِّراً هذا النّوعَ الخطابِي فِي جملة: le sep homore s'est fait coller، و يتبعها بسلسلة من الكلام عن الكلام أو ما وراء اللّغة، فيقول: لكن ما معنى s'est fait coller؟، s'est fait coller: تعنِي ما يعنيه sécher و ما معنى sécher؟ تعني sécher رسب فِي الامتحان... إِنّ الإِخبار الذِي توفِّرُهُ كلُّ هذِهِ الجمل المعادلتيّة يخصّ السّنن المعجمِي للفرنسيّة فحسب، و وظِيفتها بصفةٍ دقِيقة وظِيفة ميتالسانيّة".

وهذه الوظائف السّت للّغة موجودة في كلّ كلام، وهي وظائف رتبويّة مترابطة، تخضع كل وظيفة منها لغيرها غير أنّ درجات ظهورها متفاوتة في أنماط الكلام المختلفة، فالكلام العادي مثلاً تطغى فيه الوظيفة الإفهاميّة، بينما تطغى الوظيفة الإنشائيّة في الكلام الأدبي، والوظيفة الانفعالية في الكلام الأدبي العاطفي.

ملاحظة: - كان لعلوم الاتصال الدّور الفعّال لانطلاق هذه النظريّة في التّحليل الأسلوبي.

ولتوضيح المسار الحقيقي للوظائف السّت في عمليّة التّواصل، فقد وضع أحد الباحثين نموذجاً لتحديد العلاقات المختلفة بين مقولات هذه النّظريّة ، وتجسيد عناصرها على النّحو التّالي:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| النّص |  الأسلوب | توقّع القارئ |
| المؤلّف |  إعادة التّكوين | القارئ |
| موقف الإنتاج |  | موقف التلقّي |

\* ويتحدّث جاكوبسون عن أهميّة الوظيفة الشعريّة أو الإنشائية التي تجعل من الرّسالة اللّغويّة غاية ووسيلةً معاً، ذلك أنّ منشئَها يعدل عن الكلام العادي ليوظّفَ الكلمات توظيفاً فنيّاً يخرج فيه عن المألوف، وهذا ضمن العناصر الفنيّة( الصّورة، الايقاع، والتّركيب النّحوي والمعجمي والصّرفي). ويقوم العمل الأدبي عند جاكوبسون على مبدأين متكاملين، هما: التّعادل والتّجاور. فالأوّل: يضبط انتقاء الشّاعر للوحدات الكلاميّة، وهو موجود في الكلام العادي بقلّة، ولكنّه أساسي في الشعر، ومن دلالاته التّكرار الصّوتي.

وأمّا التّجاور: فهو ترتيب الوحدات اللّغويّة في محورها الأفقي المتعاقب، ومن دلالاته في الشعر: المنطق الزمني لتسلسل المواضيع وتطوّرها.

و لم يكتف جاكوبسون بالتّنظير، وإنّما قام بدراسات تطبيقيّة على النّصوص الأدبيّة، فأصدر دراسة عن الشّعر الرّوسي الحديث عام 1921 ، ولعلّ أشهر دراساته دراسته لقصيدة (القطط ) لبودلير، حيث حلّلها تحليلاً بنيويا بالاشتراك مع صديقه العالم الأنثروبولوجي كلود ليفي شتراوس، وكشف فيها عن العلاقات بين البنية الصرفية، والتّركيب، و الإيقاع، والدّلالة في القصيدة باعتبارها( كلاّ) لا يتجزّأ.

ونخلص- في الأخير- إلى نتيجة مؤدّاها أنّ التّحليل النصّي لدى جاكوبسون يتناول جانبين في النّص الأدبي، هما: الجانب الشّكلي، و الجانب الدّلالي، مع التّأكيد على تفاعلهما معاً.

أمّا الجانب الشّكلي، فيتناول دراسة:

1. هندسة القصيدة: وهذا بتحديد مقاطعها الشّعريّة هل هي متساوية أم لا؟ وما الرّابط بينها: هل الوزن أم القافية أم الاثنين معاً؟ وهل التّفعيلات منوّعة أم موحّدة، وما الدّاعي إلى ككلّ هذا؟...
2. المفردات من حيث ائتلاف حروفها في الجناس التام والنّاقص، فلكلّ دلالته.
3. التّراكيب من حيث نوعها وبنيتها ووظيفتها النّحويّة.....
4. العلاقات البلاغيّة: كعلاقات التّشابه التي تنشأ عنها الاستعارة، وعلاقات تجاور ينشأ عنها التّعبير بالجزء عن الكل.

والجانب الدّلالي: فيُعنَى بالكلمات وعلاقاتها بعضها ببعض، وأثر هذه العلاقات في تكوين البنية الشّكلية للنّص، ومن ثمّ دلالاتها المختلفة ذات الصّلة الوثيقة بهذه البنية...

 و في البنية الصّوتيّة: يُعنَى بتواتر استعمال حروف معيّنة لها دلالاتها الصّوتيّة، وصلة القافية بالدّلالة، وأزمنة الأفعال، وعلاقاتها ببعضها البعض، ودلالة ذلك....

وأخيراً، تفاعل هذين الجانبين: الشّكلي والدّلالي، في وحدة جدليّة لوجود علاقة مستمرّة بينهما.

**لمزيد من الفائدة، يراجع الطّالب:**

**رومان جاكوبسون: قضايا الشعريّة، ص 29.**

 **- ينظر، إدريس قصوري، أسلوبية الرّواية، مقاربة أسلوبية لرواية زقاق المدق لنجيب محفوظ،، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط1- 2008م، ص 44.**

**المحاضرة رقم 06:**

 **المقاربة الــتـداوليّة**

- تهتم التداوليّة بأقطاب العمليّة التّواصليّة: فتهتم بالمتكلّم و مقاصده، كونه محرّكًا لعملية التّواصل، و تراعي حال السّامع أثناء الخطاب، كما تهتم بالظّروف و الأحوال الخارجيّة المحيطة بالعمليّة التّواصليّة، ضمانًا لتحقيق التّواصل، و تسهيلا للوصول إلى غرض المتكلّم و غرضه

- تستمدّ التداولية معارفها من علم الاجتماع و علم النّفس المعرفي، و اللّسانيات و علم الاتّصال و الأنثروبولوجيا و الفلسفة التّحليليّة.

- في ترجمتة لمصطلح pragmatique وضع طه عبد الرّحمن مقابلا له مصطلح: التّداوليات، و هناك ترجمات لهذا المصطلح كالبراغماتية و النفعية و الذرائعيّة، و يعود أصل التسميات ههنا إلى منظّري السيمياء مثل شارلس موريس و تشارلز سانديرس بيرس و جون ديوي، و تختلف دلالاتها حسب الحقل الذي نبعت فيه كالفلسفة و اللّسانيات و الاتّصال...

يجب عدم الخلط بين التّداوليّة و المذهب البراغماتي Pragmatisme ، هذا الأخير هو مذهب فلسفي يحبّذ كل ما له أهميّة للبشر، و يتجنّب البحث في القضايا المطلقة أو المجرّدة.

يقصد بالتّداوليّة **دراسة اللّغة في الاستعمال**...و لذلك انتقل البحث اللّغوي من الاهتمام بالنّظام اللّسانيLangue من دي سوسير إلى تشومسكي إلى **الاهتمام بالتوجّه الاتّصالي و الوظيفي**، و ذلك **بالبحث في الكلام Parole و الاستعمال اللّغوي**

إذا كان علم التراكيب لا يخرج عن إطار اللّغة، و علم الدّلالة يدرس علاقة اللفظ بالخارج، فإنّ **التداوليات تعنى بدراسة اللّغة في الاستعمال....**

الدّراسات السابقة قسّمت اللّغة إلى: لسان و كلام Langue et parole ، و أقصت من الدّراسة الكلام و اهتمّت بدراسة اللسان لتوخّي العلميّة و الموضوعيّة...و لأنّ الكلام على حسب اعتقادهم فرديًّا، و يصعبُ التحكّم في آلياته...و لذلك فالتداولية تدرس كلّا من اللغة و الكلام في إطار الاستعمال

تسعى التّداوليّة إلى دراسة العلاقة بين **المعنى و السّياق.**

التداولية تتجاوز الدّراسة البنيويّة السّكونيّة للغّة إلى **دراستها في سياق استعمالها**، و مراعاة كلّ ما يحيط بها من أحوال، و ما تخضع له من مقاصد المتكلّمين

**فالتّداوليّة علم الاستعمال اللّغوي**، **و هي بحثٌ في كيفية اكتشاف السّامع مقاصد المتكلّم،** و من ثمّ تلجأ إلى الوقوف على الضمائر و المبهمات الزمانيّة و المكانيّة، و التلميح و التّصريح....

و التداوليّة انطلاق **باللّغة من مستواها اللساني إلى المستوى الاجتماعي و الشروط التي أدّت إلى إنتاج الخطاب أو قل: الفعل اللّغوي .**

**المرجعيّة المعرفيّة للسانيات التّداوليّة:**

- يعود الفضل في **استحداث** المصطلح إلى الفيلسوف الأمريكي شارلز ساندرس بيرس حينما نشر مقالتين في مجلّة: "ميتافيزيقا" سنة 1978-1979م بعنوان: **كيف يمكن أن تثبت الاعتقـاد؟** **و منطلق العلم: كيف نجعل أفكارنا واضحة؟**

أكّد بيرس على أن **الفكر في حقيقته إبداعٌ لعادات فعليّة**، فهو مقرون بقيمتين: متى يتمّ الفعل؟ و كيف يتم؟ يكون الفعلُ مقتـرنا بالإدراك في حالته الأولى، و في حالته الثانية يؤدّي الفعل إلى نتيجة ملموسة، ليصلَ إلى أنّ الممارسة و التّطبيق و الفعل هي التي تشكّل الأساس و القاعدة لمختلف الأفكار...

و تجدر الإشارة إلى أنّ أوّل من **استعمل** مصطلح التّداوليّة ه الفيلسوف تشارلز موريس سنة 1938م، حيث قدّم تعريفا لها في سياق تحديده للإطار العام لعلم العلامات، و ذلك في مقال له ركّز فيه على مختلف التخصّصات التي تعالج اللّغة( التّركيب و الدّلالة و التّداوليّة) ليصل إلى أنّ التّداوليّة جزء من السيميائيّة التي تعالج العلاقة بين العلامة و مستعمليها، و هو تعريف يتجاوز المجال اللّساني ليشمل غيره من المجالات غير اللّسانيّة" المجال السيميائي"

اللّسانيات التّداوليّة اتّجاه جديد في دراسة اللّغة يبحث عن حلّ للعديد من المشاكل اللّغويّة التي أهملتها اللسانيات و لم تهتم بها، نحو: **"الفونولوجيا، التّركيب، الدّلالة"،** و لذلك يذهب كارناب إلى القول بأنّ التّداوليات هي قاعدة اللّسانيات.

فاللسانيات التداولية تحاول الإجابة عن العديد من الأسئلة، متوسّلة بذلك بعلوم عديدة منها: العلوم الإنسانيّة و العلوم الاجتماعيّة. و من الأسئلة التي تطرحها: ماذا نصنع حين نتكلّم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلّم؟ من يتكلّم؟ و مع من يتكلّم؟ من يتكلّم و لأجل من؟ ماذا علينا أن نعلم حتى يرتفع الإبهام عن جملة أو أخرى؟ كيف يمكننا قول شيء آخر غير الذي كنّا نريد قوله؟ هل يمكن أن نركن إلى المعنى العرفي لقصد ما؟

استفادت التّداوليّات من نظريّاتٍ و علوم من أهمّها:

أ- الفلسفة التّحليليّة.

 ب- الفلسفة الراغماتيّة: قيمة الفكرة مرتبطة بنجاح السّلوك في الواقع.

 ج- علم النّفس المعرفي: منها نظريّة المواءمة في إدراك أبعاد الفعل اللّغوي، كالذي قدّمه جيري فودور من أنّ اشتغال الذهن البشري اشتغال تراتبي، و تجرى فيه معالجة المعلومات الإخباريّة مهما كان مصدرها" مرئي أو سمعي أو لغوي..." عبر مراحل متلاحقة، و كلّ مرحلة منه تقابل مكوّنا من مكوّنات الذّهن، و هو المحوّلة و النّظام الطّرفي و النّظام المركزي. و الكل يتم في إطار منظومة مختصّة بمعالجة المعلومات.

 د- نظريّة المحادثة: أشهر مقال قدّمه بول غرايس في مقال له بعنوان" منطق المحادثة 1975م" فقد أدخل فيه مفهومين مهمّين يعدّان من أهمّ المفاهيم التي تهتم بها اللسانيات التّداوليّة، و هما" **الاستلزام الحواري، و مبدأ التّعاون"،** و من هنا ميّز بين الجملة و القول، إذ الجملة سلسلة من الكلمات التي يمكن لأيّ أحد التلفّظ بها في ملابسات مختلفة و لا تتغيّر هذه الملابسات. أمّا القول فهو حاصل التلفّظ بجملة، و هو يتغيّر بتغيّر الملابسات و القائلين:

 فإذا قال زيد:ابني البكر يحتل المرتبة الأولى في صفّه- و هو يتحّث عن ابنه محمّد يوم 1 جوا 1947م

و إذا قال عمر: ابني البكر يحتل المرتبة الأولى في صفّه- و هو يتحّث عن ابنه الهادي يوم 30 ديسمبر 1956م.

و إذا قال صالح: ابني البكر يحتل المرتبة الأولى في صفّه- و هو يتحّث عن ابنه المنذر يوم 15 أوت 1997م

فإنّ كلاّ من زيد و عمر و صالح قد تلفّظوا بنفس الجملة لكنّهم أنتجوا ثلاثة أقوال مختلفة...فالجملة ظلّت هي هي" ابني البكر يحتل المرتبة الأولى في صفّه "، و هذا التّمييز بين الجملة و القول يعدّ من أبرز المفاهيم التي ركّزت عليها اللّسانيات التّداوليّة...

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

**الدّرجات الثّلاث للتّداوليّة:**

قامت فرانسواز أرمينغو F.Armengoud بعرض أهم المقاربات التّداوليّة على برنامج هنسن Hansson الذي أسّس تداوليّة ذات درجات ثلاث:

حاول هنسن التّوحيد بين مختلف أجزاء التّداوليّة من خلال هذه الدّرجات التي تحدّد فكرة المرور التّدريجي من مستوى إلى آخر.

ترتكز التّداوليّة في تحليل و تفسير الإنتاج اللّغوي على السّياق Contexte " و هو مجمل الظّروفِ الاجتماعيّة التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السّلوك الاجتماعي و الاستعمال اللّساني(...)و هي المعطيات المشتركة بين المرسل و المتلقّي و الوضعية الثقافيّة، و النّفسيّة، و التّجارب و المعارف الشّائعة بينهما على حدّ سواء"

و مظاهر السّياق هذه يتمّ وضعها في الاعتبار بالنّسبة إلى كلّ درجة، كما أنّ السّياق قد يتغيّر من درجة إلى أخرى.

**1- تداولية الدّرجة الأولى:" دراسة الرّموز الإشاريّة"** تتعلّق بالعلامات الإشاريّة (أنا، هنا، الآن...) التي تتجلّى في الأقوال و لا تحدّد إلاّ من خلال السّياق الذي توظّفُ فيه، و تتّضح أكثر في إطار العلاقة بين المتخاطبين و الزّمان و المكان، فالضّمائرُ و إشارات الزّمان و المكان تختلف ‘حالتها حسب ظروف استعمالها.

**2- تداوليّة الدّرجة الثّانيّة: " المعنى الحرفي و المعنى التّواصلي"** و تدرس الدّلالة الضمنيّة للقول

بتجاوز المعنى الحرفي، و في هذا المستوى يتمّ توسيع مفهوم السّياق" من سياق الموضعة و كشف الإحالات و المنفّذين إلى السّياق المتعارف عليه عند المخاطبين **كحدس**، و لهذا تسعى تداوليّة الدّرجة الثّانية إلى معرفة كيفية انتقال الدّلالة من المستوى الصّريح إلى المستوى التّلميحي، و النظريات التي تتناول هذا النّمط بالدّراسة كأحكام و مسلّمات المحادثة، و ما ينبثق عنها من ظواهر خطابيّة كالافتراض المسبق، و الأقوال المضمرة و الحجاج،و السياق في هذا النّمط فهو مجمل المعلومات و المعتقدات التي يشترك فيها المتخاطبون.

**3- تداوليّة الدّرجة الثّالثة: نظريّة الأفعال الكلاميّة** و مفادها أنّ االأقــوال الصّادرة ضمن وضعياتٍ محدّدة تتحوّل إلى أفعال ذات أبعاد إجتماعيّة. و تختلف هذه الأبعاد حسب الأغراض التي تتحقّق من الإنجاز اللّغوي Performative يتعلّق الأمر بمعرفة ما يتمّ إنجازه عبر استعمال اللّغة في وضعية تواصليّة معيّنة. و يعدّ أوستين Austin من أوائل المؤسِّسين لنظريّة الأفعال الكلاميّة، و كان ذلك بفضل مجموعة من الأعمال من أهمّها: تطبيقيّة نظريّة الأفعال اللّغويّة على الخطاب الأدبي عن ويليام جيمس، و قد طوّر هذه التّصنيفات تلميذة سيرل Searle، و يبدو أنّ الدّرجات السّالفة للتّداوليّة مترابطة و متداخلة...و هناك الكثير من النّظريات التي وظّفتها التّداوليّة حين التّعامل مع اللّغة، و منها: النظريّة الحجاجيّة La Théorie de l'argumentation ، و النظريّة التلفّظيّة Théorie de l'énonciation .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

**نظريّة الأفعال الكلاميّةde langage Les Actes**

معروفٌ أنّ اللّغة تستعمل للقيام بفعل شيءٍ أو التّأثير في المتلقِّي، هذا المفهوم وسّعه أوستين Austin

في المحاضرات الإثنا عشر التي ألقاها في جامعة هارفارد Harvard سنة 1956م، و نشرت سنة 1962م في كتاب عنوانه" How to do think with words "، و الذي ترجم إلى اللّغة الفرنسيّة عام 1970م إلى "Quan dire, c'est faire " عندما نقول نفعل ، فتأسّست بذلك نظريّة الأفعال الكلاميّة، و استانفت بعد ذلك من طرف سيرل Searl .

**1- تصنيف أوستين للأفعال الكلاميّة:**

ترتكز فكرة أوستين على فكرة الإنجازيّة، و التي مفادها أنّ بعض الملفوظات في حقيقتها لا تصفُ شيئًا في العالم، و لا يمكن الحكم عليها بمعيار الصّدق و الكذب، ولكنّها تؤدِّي أفعالاً مثل " الوعد، و التّحذير" و يحكم عليها بمعيار الفشل أو النّجاح في الإنجاز.

ميّز أوستين بين العبارات الإنجازيّة و العبارات غير الإنجازيّة ( أي: وصفيّة)...

فالعبارات الإنجازيّة: أدعّم رأيي، أتنبّأ، أتوقّع...و شرط العبارات الإنجازيّة هو ملاءمتها للواقع" الإنجاز الحقيقي" فالوعد مثلا تتضمّن التزاما معيّتا من جانب المتكلّم ينجزه عند قوله: "أعد بذلك" فهو في الواقعِ يعد: أي يجعل نفسه ملــزمًا بما يقوله.

أما العبارات غير الإنجازيّة" الوصفيّة" فهي عبارات وصفية تصف إحساسات من مثل: أعتذر، إنِّي متأسّف...

لاحظ أوستين أنّ تصنيفه يفتقر إلى مقياس معياري نحوي لتمييز العبارات الإنجازيّة، فقسم: الأفعال الكلاميّة إلى ثلاثة أصناف، هي:

**- فعل الكلام: فعل القول" Acte kocutoire"** هو الفعل الذي ننجزه بمجرّد تلفّظنا لبعض الكلمات التي لها نفس المرجع.

**- الفعل الإنجازي" قوّة فعل الكلام، الفعل المتضمّن في القول Acte illocutoire**  ، و هو فعلٌ اتّفاقي مبني على التّواطــؤ و المواضعة، إنّه فعلٌ مؤدّى و منجز طبقا للتّواضع، و هو الفعل الذي ننجزه بالقول( سؤال، أمر، تحذير، وعد...)

**- الفعل التّأثيري لازم فعل الكلام Acte perlocutoire:** و هو الآثار المترتّبة عن الفعل الإنجازي، و هو الدّفع إلى العمل و الوصول إلى الاقتناع بفعل شيء أو تركه، " فعندما نقول شيئًا ما قد يترتّب عليه حدوث بعض الآثار على إحساسات المخاطب و أفكاره و تصرّفاته" كأن أجعل مستمعي يقتنع بشيء ما ، أو أجعله يخاف، أو يمتنع عن فعل شيء...و قد يكون ذلك عن قصد ونية، أو عن غير قصد، كما أنّ الفعل الانجازي و الفعل التّأثيري يستلزمان معا الاتّــفاق.

**لمزيد من الفائدة العلميّة، يراجع الطالب:**

**المراجع التي نشرناها ضمن المجموعة الفايسبوكيّة " الأسلوبيّة المقارنة و منهجيّة تحليل الخطاب"**

1. - ينظر، إدريس قصوري، أسلوبية الرّواية، مقاربة أسلوبية لرواية زقاق المدق لنجيب محفوظ،، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط1- 2008م، ص 44. [↑](#footnote-ref-1)